عبد العزيز الرشيد

د. مكّي محمّد سرحان

Scanned with CamScanner

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ـ تقديم بقلم الأستاذ ابراهيم العريض	٩
ـ المقدمة بقلم المؤلف	١١
١ ـ مولده ونشأته الثقافية	١٣
٢ ـ رحلة الرشيد إلى البحرين	١٩
٣ ـ صلة الرشيد بالمنتدى الإسلامي بالمنامة	٢٥
٤ ـ الرشيد محرراً لمجلة «الكويت» عام ١٩٢٨ م	٣١
٥ ـ الرشيد مؤرخاً	٣٩
٦ ـ الرشيد شاعراً	٤٥
٧ ـ الرشيد مصلحاً اجتماعياً سائحاً	٥١
٨ ـ الرسائل المتبادلة بين مؤرخ الكويت ورائد النهضة الأدبية في البحرين	٥٩

Scanned with CamScanner

تقديم بقلم

الأستاذ ابراهيم العريّض

إضاءة حول مشروع

هذا مشروع كأنَّما يتطلّع الأديب المؤرِّخ الدكتور مكي محمد سرحان لإنجازه لمعالجة «أزمة» فيما يُفهم في المصطلح البحريني بـ «البيت الكبير» الذي يُعرض في تلفزيون البحرين كل شهر رمضان.

هذا البيت الذي نحن أبناؤه وبناته لا سوانا.

فالأزمة باختصار تتعلّق بين سؤال وجواب:

فأمَّا السؤال فلم يخطر لأحدنا على بال. ويمكن صوغه في العبارة التالية: ماذا يكون مدى معرفة أحدنا داخل هذا البيت، وهو كفرد صغير فيه لا يتجاوزه؟ أليس هكذا يجب ان يسأل كل ناشيء منا منذ ظهوره بين أترابه لاعباً في ساحته؟

وأمَّا الجواب فطالما تجاهلناه جميعاً وتنكّرنا له. رغم ان صداه المدوي تعالى من أوروبا على لسان الشاعر الألماني

Scanned with CamScanner

جيته، قبل قرنين من الزمان، في كلمته الشهيرة: إذا أردت أن ترى رؤيتك فاصعد إلى السطح وسرّح طرفك في الآفاق حولك! فهكذا في زمانه كان يؤكد هذا الإنسان لمَن يحاوره دائماً وكأنَّما ردا على مضمون السؤال.

ولا نزال نحن بين السؤال الذي لا نعيه والجواب الذي لا نهتم به كأساس إلاَّ أنَّ صاحب المشروع وجد هنا مجالاً لمشروعه، للأخذ بيدنا والسير بنا معه قدماً، وهو في كل خطوة يخطوها بفيضه الإنساني كأنَّما يستجلي الحكمة الشرقية القائلة:

دواؤك منك ولا تشعر وداؤك فيك ولا تبصر
أتحسب أنَّك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

لشاعر مجهول قالها قبل أكثر من ألف عام وتصدق على الإنسان الحديث اليوم.

إنَّ الدكتور يستحق كل ثناء على مشروعه الذي وضع أبجديته في حلقات من سلسلة أدبية هي بمثابة درج ينير السبيل أمام الراغبين في الصعود بغية الإطلالة من السطح على ما يحيط بهم والتأويل في الأفق البعيد على امتداده. فهل هم فاعلون؟

جعل الله حلم الدكتور حقيقة ورؤياه نافعة على مرّ الأجيال.

إبراهيم العريّض

البحرين ٢٦/ ٧/ ١٩٩٧

Scanned with CamScanner

المقدمة

إلى حفيدتي روان. . .

إلى أبناء جيلنا الصاعد، إلى أجيالنا جيلاً بعد جيل، إلى ناشئة هذا اليوم ورواد غده، إلى طلاب المرحلة الأساسية وسواهم. . اليهم جميعاً وإلى كل قارىء واع. . يطيب لي ان أُقدِّم بكل فخر واعتزاز سلسلة أعلام الفكر الخليجي، تحت عنوان: أدباء خليجيون متميزون. . وان نضع أمام شبابنا في المدارس والجامعات، نبذة مختصرة من حياة أدباء الخليج، الذين قهروا اليأس زماناً ومكاناً، وتحدُّوا ظلام الجهل وبدَّدوه بإرادتهم الصلبة، وبعزيمتهم القوية. . فنجحوا بفعل جهودهم البناءة في وعي حياتنا العلمية والثقافية الحديثة، والتي ينعم بها خليجنا من تطور وعزة وكرامة وسؤدد.

فمن حق هؤلاء المفكرين، والشعراء، والشعراء الطالعين ـ علينا ـ ان نفتح عيون أبنائنا على صفحات نيرة من حياة هؤلاء العظماء، لنعلمهم تاريخ خليجهم البعيد والقريب، نبني نفوسهم على حبّ أوطانهم، وننشىء حماسة وايمان مخلص

Scanned with CamScanner

صادق، تجاه قراءة نضالات عظماء يخلّدهم تاريخنا الحديث وكان لمسيرتهم الزاهرة أثر بارز وفعّال في تدوينه بأحرف من ذهب خالص، ودرر نقية تحيي الأمل وتضيء الطريق للحفاظ على الأرض والوفاء لها والعمل الدؤوب لخيرها وصالحها لاستقراء الماضي المستقر، والحاضر المزدهر واستلهام المستقبل النيّر.

من هذا المنطلق والحس الوطني والواجب القومي سنكتب ضمن هذه السلسلة عن أكثر من أربعين شخصية خليجية متميزة، بدءاً بشاعر العروبة ابراهيم العريّض... ومن ثم الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي... وابراهيم بن محمد الخليفة... محمد بن عيسى الخليفة... أحمد محمد الخليفة... الدكتور محمد جابر الأنصاري... الدكتورة سعاد الصباح... عبدالله الفرج... ابن عثيمين... عبدالله الطائي... عبدالله الزايد... عبد الرحمن المعاودة... عبد الحسين الحلي... محمود المردي... وستظهر - إن شاء الله - شخصيات تالية حول عدد آخر من حياة بعض عظمائنا الذين شاركوا بوعيهم في صنع ثقافتنا الوطنية التي تشكّل وجداننا الحي وتدفعنا لمزيد من العطاء المثمر... والله الموفق لما فيه الخير والصلاح.

دكتور مكي محمد سرحان

١٠ يوليو عام ١٩٩٧ البحرين

Scanned with CamScanner

(١)

مولده ونشأته الثقافية

نشأ المؤرخ والشاعر عبد العزيز بن بداح الرشيد في بيئة كويتية، علمية، محافظة.. فكفل له ذلك، جواً مناسباً وثقافياً، أعانه على الوصول، إلى ما وصل إليه من مكانة مرموقة في ميداني التاريخ والشعر.

وُلِدَ عبد العزيز الرشيد، في الكويت في أواخر عام ١٣٠١ هجري، أي في أواخر القرن التاسع عشر من الميلاد، على وجه التحديد.. وبعد ان ترعرع أصبح مصلحها الإجتماعي الفذ، ومؤرخها الأول، وشاعرها الكبير.. حتى توفي عام ١٣٥٨ هجري، يرحمه الله.

وما إن أهلّت نهايات القرن التاسع عشر، حتى بدأت رحلة عبد العزيز الرشيد إلى البصرة، ليلتحق بإحدى مدارسها الدينية، شأنه في ذلك شأن كل نابه يحفظ كتاب الله المجيد، ويعد نفسه للتفقه في الدين والنبوغ في مجال العلم والمعرفة..

Scanned with CamScanner

وقد أعدَّ الرشيد، نفسه لذلك، فقد حفظ في الكويت، قبل رحلته إلى البصرة، كثيراً من المتون، واطلع على قدر غير يسير من شروحها.. وكان معلمه في ذلك، جو المجتمع الكويتي.. ولا بد ان مخايل النجابة قد ظهرت عليه أيامذاك مما حدا في ذلك أباه بداح الرشيد، بأن يسعى له في السفر إلى البصرة، طلباً للتحصيل العلمي، لتحقيق أمل إبنه الوحيد، فيما يريد.. وخاصة ان البيئة الثقافية في موطنه حينذاك، لم يكن في مقدورها تحقيق ولو لبعضٍ من طموحات إبنه الشاب الواعد، تبعاً لظروف مستوى التعليم فيها يومذاك.

وهكذا ينتقل مؤرخنا من الكويت إلى البصرة في العراق، لطلب العلم، ولا يطيل بها المكوث، بل أصبحت منطلقاً له إلى المدينة المنورة، ليتعلم فيها الفقه والتفسير وغيرها من علوم الدين، على أيدي ثلة من علمائها المشهورين.. ويغادرها متجهاً إلى الاحساء، حيث مدارسها الدينية المتخصصة... ويبقى الرشيد، في مدارس الاحساء، ينهل من نبعها العذب، لكنه لا يطيل بها المكوث، هي الأخرى، حتى توجه إلى الأستانة بتركيا.. ومكث سنة دراسية في تركيا، ثم غادرها الى القاهرة ليلتحق بالأزهر الشريف، لينهل من علومه وآدابه..

ويمم الرشيد فور وصوله القاهرة ـ رغم ظروف السفر والتنقل بين مختلف البلدان في مطلع القرن العشرين ـ إلى

Scanned with CamScanner

الجامع الأزهر.. وهو المحجّة التي يتوجه إليها طلبة العلم، منذ نشأة هذا الجامع حتى الآن.. وأمضى في رحابه فترة من الوقت طالباً مجداً، يقرأ ويدرس بفهم وعناية، لكل ما يقع تحت ناظريه من سائر العلوم الشرعية واللسانية والعقلية.. وقد حفظ الرشيد ذلك، وغيرها من سائر العلوم الأخرى، حفظاً محكماً، حتى شعر انه صار بمقدرته آنذاك، العودة إلى الوطن، لابساً الجبة والعمامة، بلحية وقار، مثله كمثل أي رجل دين في عامة بلاد المسلمين، ويحمل لقب «الشيخ» في بداية اسمه، عام ١٩١٧ م.

وظلَّ الرشيد، يتجه في حياته الثقافية إلى الحفظ، لأنَّ الحفظ في أي مادة أدبية، أو علمية، او ما شابه ذلك، هي أدعى إلى بقائها في الذاكرة، وعدم ذهابها من الذهن.. وذلك بناءً على قاعدة تربوية قديمة، وكانت سائدة في أيامه، تقول: «مَن حفظ المتون حاز الفنون».

في البدء، كما مرَّ بنا، تلفت الرشيد، فلم يرضَ مطلقاً بما حاز من العلوم في موطنه.. ولم يرضَ، أيضاً، عما في حياة شباب عصره من ضياع.. ولم يسمح، قط، لليأس ان يتسرب إلى نفسه، أو ان يقضي على طموحه للحصول على المزيد، والمزيد، من التحصيل الدراسي.. وهكذا يبقى هو طموحاً للمزيد من المعرفة، رغم الظروف التي أحاطت بالثقافة العربية في مجمل الأيام المتأخرة لنهاية القرن التاسع عشر،

Scanned with CamScanner

وبداية القرن العشرين، وشملت بقسوتها منطقة الخليج مع ما شملته من سائر الأقطار العربية عامة.

ليس من شك في ان وجوب التحصيل العلمي، طريقه السفر والغربة، وقد وجد عبد العزيز الرشيد نفسه، على طريق ذلك، واجتهد.. حيث رأى نافذة من نور تلمع لعينيه بين الظلام، وخيطاً من خيوط الأمل، يمتد إليه ليمسك به.. لقد عرف أول الطريق، الذي تاه عنه غيره طويلاً، ألا وهو طريق الأدب، الذي ظفر به، وما زال في مقتبل العمر.. إلى ان وصل شيخنا الجليل إلى مكانة علمية مرموقة ـ كما أشرت لكم آنفاً ـ شهد له بها القاصي والداني.. حتى قال عنه الأستاذ الأديب المعروف عبد الرزاق البصير، في مقدمته للطبعة الجديدة من كتابه، بقوله: «كان رحمه الله صادق اللهجة، صريحاً في آرائه التي يعتنقها، لا يستطيع ان يسكت على الذين يخالفونه في آرائه».. كما نطقت بمكانته الأدبية المتميزة آثاره الخالدة، التي تركها لنا، تتحدى الزمن وتتعلم منها الأجيال الخليجية والعربية القادمة، بإذن الله.

ويعد الشيخ عبد العزيز الرشيد، من نعم الله عليه، ان جميع أشياخه في الفقه والعلوم وغيرهما من الثقافة قد ماتوا عنه راضون.. وذلك من أكبر النعم من الخالق للمخلوق.. لأن رضا الأشياخ على طلابهم، عنوان رضا، الله عزَّ وجل عنهم... وإنِّي لأستلهم الله سبحانه وتعالى التوفيق في تناول

Scanned with CamScanner

مختلف جوانب طريقه واتجاهاته، في حياته ونشأته الثقافية.. وفي إصلاحاته المتعددة.. وفي أخلاقه الرائعة.. وفي آثاره الوافرة.. وبالله الاستعانة بدءاً وختماً.

Scanned with CamScanner

(٢)

رحلة الرشيد إلى البحرين

ما ان أهلَّ عام ١٩١٧، حتى رحل الشيخ عبد العزيز الرشيد إلى مسقط رأسه، الكويت، عائداً من القاهرة، وقد اعتمر العمامة والجبة، وأطال اللحية.. فالتحق بسلك التعليم، كأفضل عمل مناسب، يقوم به عالِم دين متنور.. وقد حبكته رحلاته الدراسية بين البصرة، والمدينة المنورة، والاستانة، والقاهرة.. وظفر أخيراً بإجازة شيوخ الجامع الأزهر الشريف، الذين صاحبهم حيناً من الدهر، فأحسن صحبتهم، وتلقى عنهم علوماً جمة، ومعارف واسعة، وقد أدرك هؤلاء العلماء الأفاضل في تلميذهم، نباهة وعلو قدر وسمو مكانة، فأجازوه كواعظ ومرشد، رغم الفترة القصيرة، التي قضاها بينهم.

عُيِّنَ، على الفور، مديراً لمدرسة المباركية، وهي المدرسة النظامية الوحيدة بالكويت أيامذاك.. ويصبح في هذه المدرسة مديراً ومدرساً لمدة عامين متواصلين.. ليتركها، كي

Scanned with CamScanner

ينشىء مدرسة خاصة به، تسمَّى بالمدرسة العامرية. . لكنه ما لبث ان تركها أيضاً، ليعمل واعظاً في مجلس ولي عهد الكويت، يومذاك، الشيخ أحمد الجابر الصباح.

وكان العارفون من علماء الكويت وأدبائها، يدركون ما وصل إليه الشيخ عبد العزيز الرشيد، من علم وموعظة، ويجلونه لذلك، من أمثال الأديب الكبير عبد الرزاق البصير، الذي عرف له فضله، واتصلت معه مودته، حتى مات يرحمه الله والكل راض عنه تماماً.

وبلغ من اتساع علمه وموعظته، انه كان يكفي مريديه من الافتقار إلى غيره في كافة العلوم التي يتطلبها المحاورون من نحو وفقه وبيان وبلاغة، وتفسير وحديث وأصول وتوحيد، وغيرها. . فقد كانوا يجدون عند شيخهم، ضالتهم مما يستفسرون، حين رأوا ذلك المجد العلمي والمتقدم والبراعة. . فالتفَّ حوله الناس، وعمت شهرته العلمية منطقة الخليج.

ولكن رغم شهرته في الوعظ، التي طبقت آفاق الخليج، ومشاركته الفاعلة في تأسيس النادي الأدبي الكويتي، بل واسهامه المشهود في العديد من الأنشطة مثل إلقاء بعض المحاضرات الأدبية، وبعض الخطب الدينية، «إلاَّ أن بال الشيخ ظلَّ مشغولاً بسياحة من نوع جديد يطوف فيها الخليج وجاوه وسنغافورة والهند، وهكذا يغير الزمن شخصية الشيخ فمن كونه طالباً في سياحة دراسية إلى رجل دين في سياحة

Scanned with CamScanner

تهدف إلى تنوير عقول هذه البلدان» ـ على حد تعبير الكاتب خالد البسام، راجع كتابه: «رجال في جزائر اللؤلؤ»، الطبعة الأولى، ١٩٩١، صفحة ٨٥.

وها هوذا عبد العزيز الرشيد، و«هاجس السفر يلح عليه، وفي عام ١٩٢٩ ركب قارباً تجارياً.. ووصل إلى البحرين، وفي نيته ألاَّ يقيم فيها طويلاً، ولكنه وجد في البحرين ما يجعله يقيم ليعمل مدرساً ومرشداً وواعظاً ـ على حد تعبير الأستاذ عبد الحميد المحادين، راجع كتابه: الهداية الخليفية رجال وآفاق»، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م ـ ١٤٠٩ هـ، صفحة ٧٣.

وقد أنتجت هذه الرحلة ثمارها اليانعة.. عندما شدَّ الرحال متوجهاً أولاً إلى البحرين.. غير مبال للمعارضة القوية من قِبَل مثقفي الكويت لرحيله عنهم، ولا حتى الممانعة التي أبداها أمير الكويت، لحاجة وطنه له كواعظ ومرشد ومعلم.. ومن هذا السلوك، ندرك ان الرشيد، قد أخذ على عاتقه، بما يأخذ به المريدون أنفسهم من حب لسياحة الوعظ والإرشاد.. وبذلك قويت روحانيته، وقد حلَّ ضيفاً معززاً ومكرماً، في ضيافة عائلة القصيبي، بعد سفر طويل شاق إلى البحرين يومذاك.

وقد تأثّر الرشيد، بلطف أبناء البحرين، فما منهم أحد إلاَّ وقد رحَّب به أحسن ترحيب ـ فهو مكسب ما بعده مكسب

Scanned with CamScanner

ـ فأقام بها طويلا، وفي نيته ألا يقيم فيها طويلاً، وان يبقى في ربوعها مدة، حسب تخطيطه، لا تتجاوز الإسبوعين فقط.. غير انه يجد نفسه لا يستطيع المغادرة حسب برنامجه الخاص.. فها هوذا يقول: «لم يدر في خلدي بعد ان اعتزمت على مفارقة الأهل والوطن، ان ألقي عصا التسيار في البحرين، وهي على مسافة غلوة من الكويت، ولكن ماذا أصنع وقد ملكني أبناء تلك الجزيرة المحبوبة بلطفهم وأحسنوا بي الظن إحساناً لم يعد في وسعي معه إلاَّ ان أُقابلهم بالتقدير والإكبار، وأُقابل رغبتهم في إقامتي بينهم واعظاً ومعلماً ومرشداً بالقبول والإذعان، وهكذا كتب الله ان أتّخذ من البحرين اليوم لي وطناً وأن أستبدل بها إخواناً (بإخوان) وأصحاباً بأصحاب».

وكان لقرار عبد العزيز الرشيد، بالبقاء فى البحرين، قصة أخرى راحت الصحف العراقية خاصة والصحف في الوطن العربي عامة، تنشر من محض خيالها.. بأنَّ قرار الرشيد المفاجىء، مغادرة الكويت، والبقاء في البحرين، مسألة تعني ـ على رأي هذه الصحف ـ معارضته لحكام الكويت.. لا بل ذهب الخيال إلى أبعد من ذلك، على رأي صحف أخرى، لا يسع المجال لذكر ما جاء فيها.. وعندما قرأ عبد العزيز ما كتبته الصحافة، هاله ما قرأ.. فقرّر من فوره الرد على كل ما جاء في هذه الصحف من أخبار مغلوطة.. فنشر نصوص

Scanned with CamScanner

الرسائل المتبادلة بينه وبين عاهل الكويت، وما في مضمونها من ود متبادل بين الطرفين، الأمر الذي يدحض نفيه عن وطنه.

ويستتب أمره، وتطيب له الإقامة في البحرين، ويعمل مدرساً لمادة اللغة العربية، ومادة العلوم الدينية بمدرسة الهداية الخليفية.. وهكذا بعد أن هدأت ضجة الصحف ـ كزوبعة في فنجان ـ يبدأ بتنفيذ وعدٍ قطعه على نفسه لأهل البحرين ان يعمل بمهنة التدريس، فأوفى بوعده بل إنَّه زاد على ذلك وساهم بخطب صلاة الجمعة الإرشادية بأحد جوامع المنامة.. وشارك في أنشطة المنتدى الإسلامي بالمنامة ـ الموضوع الذي سنأتي على ذكره في الفصل القادم ـ وأخذ يلقي الدروس والوعظ في هذا الملتقى.

ويقول الكاتب خالد البسام: «وبجانب كل هذه الأنشطة التي كان يقوم بها الشيخ (الرشيد) وفعالياته المتنوعة في الصحافة والتدريس والوعظ والاصلاح الإجتماعي، فقد كان يشارك أهالي البحرين تذمرهم من سلطات الاستعمار الإنجليزي بقيادة المستشار البريطاني (تشارلز بلجريف). وكان يشارك في جميع فعاليات الإحتجاج التي يقوم بها أهالي البحرين ضد السياسات الإستعمارية».

Scanned with CamScanner

(٣)

صلة الرشيد بالمنتدى الاسلامي بالمنامة

ظلَّ المنتدى الاسلامي، منارة العلم والمعرفة، بل القلعة التي قامت على حراسة علوم الدين واللغة في المنامة عاصمة البحرين.. فنادي المنتدى الاسلامي، يُعد «ثالث الأندية الثلاثة الأوائل في البحرين» ـ على حد تعبير المؤرِّخ مبارك الخاطر ـ وكان أدباؤه الأجلاء، محل ثقة الحكومة والجماهير.. يتصدرون الإدارة، ويمثلون القيادة الروحية والثقافية.. وعنهم يصدر الوعظ الذي يجد له الصوت المسموع، والآراء التي تصادف الآذان الصاغية.. لا غرابة في ذلك، فقد نقل المثقفون ذخائر بعض الكتب والآثار، ونفائس العلوم والمعارف إلى مكتبة المنتدى.. لينفتع بها أئمة العلم وقادة الفكر.. فأصبح هذا المنتدى قبلة الفقهاء والعلماء.

ورأى الرشيد بحنكته، ان من واجبه الأدبي، المشاركة

Scanned with CamScanner

الفعلية في أنشطة المنتدى الاسلامي بالمنامة، ذلك النادي العتيد الثقافي والوحيد في البحرين أيامذاك، خاصة بعد ان تمَّ إغلاق النادي الأدبي بمدينة المحرق.. «ولذلك راح يرتاد مقره كل مساء، وفيه راح يلتقي بأعضائه الذين كانوا نخبة مثقفي المنامة، ويزودهم بآرائه، كمصلح اجتماعي وكرجل دين مؤمن بالعروبة، في مجالات الدين والسياسة والاجتماع» ـ على حد تعبير الكاتب خالد البسام ـ

ومن «هنا فطن القائمون على المنتدى ـ كما يقول المؤرِّخ مبارك الخاطر ـ بما لإرشاد الرشيد من أثر إسلامي في التوجيه والإرشاد، فاتفقوا معه على ان ينظموا عملية لقائه المسائي بأعضاء المنتدى، وذلك بإعداد دروس منتظمة في الفقه والتشريع، وتفسير القرآن الكريم، وإلقاء تلك الدروس كل مساء على مَن يتحلق حوله من أعضاء المنتدى او غيرهم». مقابل مكافأة رمزية شهرية قدرها مئة روبية.. غير ان الرشيد بحكم مكانته الدينية والاجتماعية، لم يشترط ذلك، ولم يعر الناحية المادية أي اهتمام.

فما لبث ان تمت الموافقة بين الشيخ عبد العزيز الرشيد مع إدارة المنتدى على إلقاء محاضرات يومية «مقابل شرط واحد وهو ان لا تدفع له أية مكافأة ـ حسب ما جاء على لسان الكاتب خالد البسام ـ ويبدأ الشيخ العمل وتزداد حلقة الرواد من المنتدى وخارجه. وهو في الوقت نفسه يصر على

Scanned with CamScanner

ان مهنته لا تحتاج إلى أي مبلغ من النقود. وبعد عدة أشهر يقبل المكافأة، بعد الالحاح الشديد من الأعضاء، وهو غير راضٍ عن نفسه».

وعليه فقد استفاد المنتدى الاسلامي، كثيراً من دور الرشيد، التعليمي، من خلال محاضراته اليومية المنتظمة، بعد ان أناط به هذه المهمة الهامة ـ وعلى رأي الأستاذ مبارك الخاطر ـ «فإنَّ ذلك الدور كان قد ولَّدَ مناخاً ثقافياً زاخراً بالحركة والنشاط معاً، حدا بمثقفي المنامة ان يتعاملوا معه ويثروا فيه. . كانوا إذا ما تفقدهم المرء في الصباح وجدهم موزعين بين مكتبتي الأستاذ محمد علي التاجر والمكتبة الكمالية، وإذا ما التمسهم في المساء، وجدهم في المنتدى يتحلق بعضهم حول الشيخ الرشيد، مصغين للدروس التي يتلقونها عنه كما أسلفنا، أو يدخل بعضهم الآخر في نقاش حول أزمة اللؤلؤ الطبيعي المستحكمة آنذاك، او حول الحوادث الداخلية كحوادث عام ٢٨، ١٩٢٩ السياسية والاجتماعية».

وتجري الأيام بما لا يشتهي المنتدى، عندما اعتذر الرشيد لإدارة المنتدى عن عدم قدرته على مواصلة دوره التعليمي، بهذه المؤسسة الثقافية، بسبب تعيينه في مدرسة الهداية الخليفية بالمنامة مدرساً للعلوم الدينية والعربية. . مما جعل أمامه صعوبة في القيام بهذا الغرض العالي، ولم يكن في

Scanned with CamScanner

وسعه ان يقوم بالأمرين معاً.. وعليه يقول الرشيد:

«ولكن ضيق الوقت الذي طرأ عليّ أخيراً لانتظامي في سلك المعلمين في مدرسة الهداية الخليفية في المنامة حال بيني وبين ما أتمنى، ولا أريد ان أقول اني آسف على هذا التغيير الذي حصل فإنَّ المهمة التي اتخذتها على عاتقي اليوم في هذه المدرسة المباركة هي نفس المهمة التي كان هذا المنتدى الميمون يتطلبها مني بإلقاء المحاضرات المتنوعة في ردهته إذاً فالنقص الذي يحصل هنا يكمل هناك».

على أية حال، لم يؤثر توقف الأستاذ عبد العزيز الرشيد عن إلقاء محاضراته ودروسه بالمنتدى، نتيجة انشغاله بالتدريس وتحرير مجلة «الكويت»، عن المشاركة بين الفينة والفينة بأنشطة المنتدى.. ففي احدى أُمسيات المنتدى يلقي الرشيد كلمة بمناسبة انتخابات هذا النادي الاسلامي المجيد على الأعضاء، فيقول:

«في هذه الليلة المباركة انتهت مهمة الهيئة العامة في هذا المنتدى الموقر، تلك الهيئة التي قامت بما عُهِدَ إليها من خدمته خير قيام رفع لها شأناً لا يستهان به داخل البلاد وخارجها، وبنى المنتدى وأهله مجداً شامخاً في كثير من الأقطار.. في هذه الليلة ألقت تلك الهيئة المحترمة المسؤولية الكبرى عن عاتقها بعد ان تحملتها مدة من الزمن غير وجيزة، كانت في خلالها مثالاً للهمة والنشاط، مثالاً للجد والعمل..

Scanned with CamScanner

وقد اجتمعتم أيُّها الإخوان في هذه الساعة لانتخاب مَن يقوم مقامها ويتربع على كراسيها في وظائفها من رجال المنتدى العاملين الذي نرجو ان تكون إصلاحاته في أيامهم أوسع دائرة من ذي قبل. . إجتمعتم هنا لتقوموا بواجب مقدس تشعرون به لوطنكم ومشروعكم».

ولعلَّ أكثر ما يمس قارىء هذه المشاركة في أنشطته تجاه المنتدى، المحبة الفياضة التي نبض بها قلب الشيخ عبد العزيز الرشيد، نحو الجمهور البحريني، والدور البالغ الذي أداه المنتدى الاسلامي للأدب العربي. . فقال الرشيد: «لا أريد أيُّها السادة ان أُحدّثكم عما يكفله هذا الدين المبارك لأبنائه من السعادة الأخروية، فهذا أمرٌ قد فرغ منه وليس فيكم ولا في سواكم من المنصفين مَن يرتاب فيه أو يحتاج إلى إقامة البرهان عليه: إذا احتاج النهار إلى دليل. . فليس يصح شيء في العيان» ـ إقرأ مجلة الكويت العدد ٦ و٧ / ١٣٤٩ هـ.

وبنفس هذا الإدراك والشغف بالدين الحنيف، يستطرد الرشيد قائلاً: «أريد ان أحدّثكم في هذه الليلة عن علاقة ديننا بالمشاريع النافعة وبالسعي والعمل الذي يرى بعض المنتمين إليه من الجهلاء انه لا يمت إليه وإليها بسبب، وإن نافى الكل أشد المنافاة. . أريد ان أحدّثكم عن هذا أيّها السادة بحسب ما يسمح به المقام، ليتبين الحق لمريده، ولتقوم الحجة على مَن يتطلبها. . وسأحرص كل الحرص على سرد البراهين

Scanned with CamScanner

الشرعية، التي توقف هذا الفريق على خطئه فيما رأى تلطفاً في إقناعه، ودرءاً على مَن اتخذ رأيه الحائد عن الحق حجة في الطعن على الدين وتعاليمه ورميه من الانتقاد المر بثالثة الأثافي».

وأضاف الرشيد، قائلاً: «نعم أيُّها السادة إني سأجعل سرد تلك النصوص هو المحور الذي تدور عليه محاضرتي هذه الليلة إبرازاً لما في ديننا من كنوز مدفونة تنطلق بما للمصالح العامة من الأهمية والاعتبار لنبرهن لأعدائه والجاهلين بحقيقته من أبنائه انه ليس كما يتوهمونه ضيق العطف، حرج الصدر، روحياً صرفاً، لا علاقة له بالدنيا وشؤونها»... الخ.

Scanned with CamScanner

(٤)

الرشيد، محرراً لمجلة «الكويت» عام ١٩٢٨ م

ظلَّ الرشيد، في البحرين، ولفترة من الزمن، لا بأس بها، مشغولاً بين محاضراته المسائية بالمنتدى الإسلامي واهتمامه بشؤون التدريس، ومواظبته على أعمال الوعظ والإرشاد بمختلف المساجد البحرينية، هنا وهناك.. يؤدي واجبه الاسلامي، كرجل دين مخلص لأمته، بكل دقة وأمانة وما ان أنس من نفسه مكنة الإخلاص والكفاءة في كافة أعماله وواجباته، حتى أخذ يقبل على مجال الصحافة بقلمه وجهده الفردي، في وقته القليل المتبقي له من يومه.

هكذا بدأ الشيخ عبد العزيز الرشيد، تحرير مجلته المعروفة باسم «الكويت».. التي أنشأها فنياً، قبل أشهر قليلة من حط ركابه في ربوع البحرين.. وكان يكتب مواد هذه المجلة فيما بعد، ومن ثم يعدها إعداداً جيداً من مكتبه بالمنتدى الاسلامي.. ليرسلها مباشرة إلى مدينة القاهرة لتطبع،

Scanned with CamScanner

هناك. . وتُعد أول مجلة ثقافية شهرية تصدر بمنطقة الخليج.

وبالمساندة التي تيسرت للشيخ عبد العزيز الرشيد من كل من عبد العزيز الثعالبي، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان، تمكن رئيس التحرير من ان تولد مجلة «الكويت» ولادة طبيعية، تتضمن أخبار وأنشطة الملتقى الإسلامي بين سطور صفحاتها. . وقد صدر العدد الأول من هذه المجلة الثقافية عام ١٩٢٨.

فبإسناد أبرز مفكري وكتّاب الوطن العربي، في بدء الربع الثاني من القرن العشرين، صدرت من القاهرة مجلة «الكويت». . حيث استكتب الرشيد عدداً منهم لتحرير بعض موادها، إضافة إلى جهده المشهود في تحرير وإعداد معظم موادها. . حتى جاءت هذه المجلة الخالدة، معبرة عن آمال الرشيد وطموحاته الأدبية، على الرغم من صغر حجمها وصدورها بصفحات قليلة، نظراً لإمكانياته المادية أيامذاك.

لقد وقف الرشيد، بأدواته ومبادئه الدينية، كالحارس الأمين، ضد الجهل الذي ينخر العمود الفقري لأمته العربية وضد الخلط والتعصر الضار والمكابرة. . ليشق طريقه لنهضة الأدب العربي عامة، والخليجي خاصة، وليجد بمرور الأيام، مكانه من الآداب العالمية، متمتعاً بروح شعبية مثقفة موفقة، لا يتنافر فيها جلباب الفلاح البسيط مع عمامة رجل الدين، كما لم تتنافر ثقافة عبد العزيز الرشيد، الأزهرية القديمة، مع ثقافة

Scanned with CamScanner

الشباب الحديثة، آنذاك.. وها هوذا يقول:

«فإنّي سأقطع على نفسي عهداً بتقديم مجلة «الكويت» لهذه الخدمة الواجبة والسعي في ترقيته بما في امكانها، ونشر ما يهم نشره عنه في أي قطر من الأقطار يسمع صوتها فيه. ويصدح عندليبها على أفنانه، تلك المجلة التي لم يكن لها من السلاح إلاَّ قوة إيمانها وثبات عزيمتها، وأملها الكبير في ان تجاري ارقى المجلات العربية الإسلامية في مستقبل أيامها».

لم يكن بوسع كاتب من طراز عبد العزيز الرشيد، لا يفرط في وقته وكرامته، ان يبوح بشجونه وبمواجيده الثقافية إلاَّ عبر مجلته «الكويت».. والتي بدأت تكشف لنا جانباً هاماً آخر من سيرته الذاتية والأدبية، ومن عزة نفسه وطموحها الجبار.. كما بدأت تكشف لنا شغفه في تكريس هذه المجلة كأداة إعلامية ناجحة لأعمال المنتدى الاسلامي، على مختلف الأصعدة، شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لسان حال المنتدى والناطقة باسمه في أغلب الأحيان.

وتأسيساً على ذلك، بدأ الأمل يحدوه في ان تصبح مجلة «الكويت» الأداة الإعلامية الرسمية لأعمال المنتدى الأدبية، بمدينة المنامة.. شأنها في ذلك شأن مجلة الفتح المصرية، بالنسبة للأعمال الأدبية لجمعية الشبان المسلمين، بمدينة القاهرة.. فلنصغ لقوله: «وها ان منتداكم المبارك قد امتلأ محبة لجمعية الشبان المسلمين في مصر، وآل أهله الأماجد ان

Scanned with CamScanner

يسيروا على نهجها في كل شيء، وليست الوسيلة الوحيدة لهذا الشعور نحوها إلاَّ مثال مجلة الفتح الغراء التي ما برحت تنشر عن تلك الجمعية وأعمالها ما يلقي في بهوها من محاضرات ما يشرح منكم الصدر».

ويتابع الرشيد خطابه للحضور من أعضاء المنتدى قائلاً: «إذاً فيحسن بهذا المنتدى أيُّها السادة أسوة لغيره ان يتخذ له صحيفة تنطق بلسانه، وتقوم بالدفاع عنه، فإذا لم تكن الفرصة سانحة له اليوم في تحقيق هذه الأمنية التي هي من أعظم ما يرفع له شأناً في سائر الجهات الإسلامية، فإنِّي سأقطع على نفسي عهداً بتقديم مجلة «الكويت» لهذه الخدمة الواجبة والسعي في ترقيته بما أمكنها، ونشر ما يهم نشره عنه في قطر من الأقطار يسمع صوتها فيه ويصدح عندليبها على أنغامه».

يرى المؤرِّخ مبارك الخاطر بأنَّ «المنتدى الاسلامي ومجلة الكويت قنوان أثيثان في نخلة الثقافة في الخليج. صنوان ظلاً يتعانقان قرابة عامين، هما عمر مجلة الكويت الرصينة. إنَّ أول ما يتبادر إلى الذهن حين الحديث عن المنتدى مقروناً بمجلة الكويت، هو ان هذين المعلمين الثقافيين أنشئآ في عام واحد، وشهر واحد، فإن كانت المصادفة قد لعبت دورها فانعم وأكرم، وإلا فإن كان للعلاقة الفكرية المتساوقة المتناسقة بين البحرين والكويت الدور الأصيل في إخراج هذين المعلمين النيرين إلى حيز الوجود».

Scanned with CamScanner

وإذا كان اسم عبد العزيز الرشيد، قد استوى على عرش الثقافة الخليجية، بما قدَّم من إبداع تاريخي، وما طرح من أفكار أدبية دينية، فإنَّ ما كتبه عبر مجلة «الكويت» تطلعنا على المحبة الغامرة التي فاض بها قلب هذا المواطن الكويتي العظيم، على أصدقائه وتلاميذه، كما فاض بها هذا القلب الطيب المعطاء على المثقفين العرب في أرجاء المعمورة.

ومواضيع عبد العزيز الرشيد، عبر مجلة «الكويت» قبل هذا وكله، تعد من المواضيع الأدبية الرفيعة، والقطع الثقافية الإبداعية المتميزة التي تقرأ الآن، وستقرأها الأجيال القادمة، كما ستظل تقرأ كتاب «تاريخ الكويت»، وعالم شعر الرشيد الوافر، تماماً كما نقرأ «الأيام» و«حديث الأربعاء» و«دعاء الكروان» للدكتور طه حسين.. وستمتع الأجيال القادمة بما تتضمنه أعمال الرشيد، التاريخية، والأدبية، والشعرية من خبرة عالية بالواقع الخليجي، تصل إلى حد الامتزاج بين نتاج أبناء الخليج في بوتقة واحدة من مشاعر مرهفة، وحس بالتوحد، نضدت فيها كلمات الرشيد ومعانيه كما تنضد اللآلىء والأحجار الكريمة والجواهر الثمينة، على يدٍ خليجية ماهرة.

على أية حال أصدر المؤرِّخ عبد العزيز الرشيد أول صحيفة في الخليج بأسره، في الكويت في عام ١٩٢٨ وسماها باسم وطنه «الكويت».. وكانت تحتوي في الغالب على ثمانين صفحة.. وهي مجلة شهرية ثقافية ذات طابع ديني، وذات

Scanned with CamScanner

مواضيع أدبية مختلفة.. وتنحصر في الأبواب التالية: الدين والرد على خصومه، الأخلاق، القديم والجديد، التاريخ، الأدب، التراجم، اللغة، الفتوى، فوائد جامعة، مقتطفات من الصحف، التقريظ والانتقاد، وما إلى ذلك من سبيل.

وقد نالت مجلة «الكويت» بما احتوت من مواضيع ذات طابع ديني ثقافي أدبي، شهرة واسعة أيامذاك، لما كان في مواضيع هذه المجلة من آثار لفحول الكتّاب العرب من أمثال كل من: عبد العزيز الثعالبي، ورشيد رضا وشكيب أرسلان، وأضرابهم من الذين ينتمون إلى معظم أقطار الوطن العربي الكبير، شرقاً وغرباً.

بدأت مجلة «الكويت» تصدر من القاهرة، إذْ تطبع أعدادها الشهرية بمطبعة الشورى بمصر.. وقد تمكنت من ان تصل إلى قرائها في الوقت المحدد، إلا في النادر، بفضل همة صاحبها الشيخ عبد العزيز الرشيد، الذي أراد لمجلته المواظبة على مواعيد صدورها في وقتها، رغم ظروف النقل، آنذاك، وصعوبة وسائله السطحية البريدية.

واستمرت مجلة «الكويت» في صمودها، وعزمها على الصدور في حينها لمدة سنتين متواصلتين، دون انقطاع، حتى توقفت عن الصدور بعد هذين العامين، بسبب ظروف سفر محررها الشيخ عبد العزيز الرشيد إلى أندونيسيا.

Scanned with CamScanner

ولم يكد يستقر به المقام في أندونيسيا، حتى عزم على اصدار مجلة أخرى باسم (الكويت والعراق).. فبعد ان التقى بزميله السائح العراقي يونس البحري.. فأصدرا على الفور هذه المجلة.. أمَّا عدد صفحات مجلة (الكويت والعراق) كانت تصل إلى خمسين صفحة تقريباً.. وكانت تطبع في (سرابايا).. واستمر إصدار هذه المجلة من عام ١٣٥٠ هجري، الى ما قبل وفاته، بقليل من عام ١٣٥٦.

ويقول الطائي: «أمَّا طابع المجلتين فهو طابع ديني ثقافي أدبي.. وقد كانت فكرة إحياء هذه المجلة تساور أفكار ابنه الأستاذ يعقوب وما زال يسعى لإخراجها إلى حيز الوجود، حتى تمكَّن من إخراجها في عام ١٩٥٠ فسمّاها باسم مجلة المرحوم والده (الكويت) اما عدد صفحاتها فبلغ أربعة وثلاثين صفحة.. غير انها لم تعمر إلاَّ لمدة ستة أشهر فقط لأسباب اقتصادية.. وقد كانت تطبع في الكويت.. وكان يرأس تحريرها الأستاذ المرحوم عبدالله العلي الصانع، أمَّا الاستاذ يعقوب فمديرها المسؤول.. أمَّا طابع المجلة فهو ثقافي أدبي بحت.. وفي هذه المجلة يجد القارىء مقالات لكتّاب كويتيين وغير كويتيين.. وقد صدر آخر عدد من هذه المجلة في ديسمبر سنة ١٩٥٠».

Scanned with CamScanner

(٥)

الرشيد مؤرِّخاً

في مقام ذكر السلف الصالح، والعرفان بالجميل للنابهين، منهم، يجدر بنا الوقوف عند رائد جاب آفاق المعرفة، وقدَّم لأمته في الخليج وسواه، كل ما تحتاج إليه من زاد فكري ينهض بها ويغيّر وجهها، ويجدّد دمها ولو إلى بعد حين، ويوجّه ثقافتها.. فلا غرو في ذلك، وهو القائل: «سنودع الكويت ـ أي مجلة الكويت ـ بعضاً من مواد قانون هذا المنتدى الميمون ليعرف القراء المخلصون الغاية الشريفة التي أُسِّس من أجلها، وليقفوا على نموذج من الإصلاحات الدينية والأخلاقية التي ظهر نورها في جو الخليج، وبين أبنائه الأحرار، فيعلموا ان بين السفينة والشراع، وبين اللؤلؤ والأصداف اخواناً لهم صادقين يبذلون لمشاركتهم الدعوة إلى الله ما في وسعهم من قوة، ويتطلعون الى حياة جديدة بحق».. هذا الكلام نخص به جملة وتفصيلاً الشيخ،

Scanned with CamScanner

والأديب، والشاعر، والمؤرّخ عبد العزيز الرشيد.

فهو من رواد الفكر الخليجي، وقادة الرأي فيه، فحسبنا منه روافده الغزيرة، وفنونه الكثيرة، وقنواته العديدة، دلّت كتاباته على عراقة في الميدان التاريخي، وألمعيته في فهم القضايا الدينية والإجتماعية.. كما دلّت كتاباته أيضاً على ذكائه في استقراء كثير من المسائل الإصلاحية الهامة، مع معالجة ناجعة، ناجحة لمشاكل اجتماعية، خاصة في منطقة الخليج العربي.. هذا إلى جانب نقله المصطلح العربي المناسب من لغة الضاد، إلى مكانه المناسب.

ظهر عبد العزيز الرشيد، في المنتصف الأول من القرن العشرين، في بدء عصر النهضة الخليجية التعليمية هذا العصر الذي تمايز عن العهود السابقة ببعث القديم ومن ثم الزيادة عليه.. كذلك التمهيد لكل ما هو جديد صالح والدعوة الى التزوّد من ينابيعه.. بمعنى آخر كان عصر التنقل من الغموض إلى الجلاء، من الظلام إلى الضوء، من التباين إلى التناسق، فيه الغرس والنماء.. وهو أوان البشارة بنضج ثمار كتاب «تاريخ الكويت» ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ وقرب أوقات حصاده.

فأنت إذْ تقرأ كتاب «تاريخ الكويت»، تقرأ التراث الكويتي الخالد، الذي استند إليه المؤرِّخ عبد العزيز الرشيد.. فقد أعاد صياغة التاريخ الكويتي بشكل الوقائع التاريخية الثابتة

Scanned with CamScanner

والموثقة.. أو بعبارة أخرى، أعاد صياغة كتابة التاريخ الكويتي من خلال رؤى محددة، وفلسفة تاريخية معينة قوامها فكرة التمدن والمعاصرة الحديثة.. «فأنت إذْ تقرأ كتابه تعيش في موكب عامر بالحداء مليء بالرفاق، حافل بالجديد، ما تكاد تقرأ به الآثار أمام عينيك أخباراً عن اللؤلؤ، وما تكاد تسأل عن الحكم حتى تعلم، ان حكّام الكويت الأماجد قد وضعوا منذ توليهم الحكم الشورى شعاراً، فلا نعجب إذا شهدنا الدستور اليوم بعد عام من الاستقلال، ثم ما تكاد تكشف سجل الحياة ونبض القلوب وحيوية المشاعر، حتى يواتيك هذا المؤرخ الكبير بالأدباء من أبناء الكويت، فتعلم بعد ذلك انك إزاء رجل عظيم وتراث كبير، ولا تنس حينئذ إلاَّ ان تتلفت لهذه الميزة التي تنطبع بها الكويت وهي الحركة أجل الحركة قبل النفط وبعده، فتهتف عند ذلك داعياً إلى الأمام يا بلد الحركة نحو الخير والمجد والصلاح» ـ على حد تعبير الأستاذ عبدالله محمد الطائي، راجع كتاب «دراسات عن الخليج»، الطبعة الأولى ١٩٨٣، دار روى، سلطنة عمان، صفحة ٢٩٠.

وقد عرف الرشيد كيف يُفيد ويستفيد من مناهج البحث التاريخي في كتابه «تاريخ الكويت» بالرغم من ظهور كتب خليجية كثيرة في نفس الموضوع قبيل وبعيد صدوره، إلاَّ ان كتاب الرشيد فات غيره، وذاع صيته، وامتد أثره.. ولا عجب

Scanned with CamScanner

في ذلك، فهو «مؤرخ الكويت الأول. زميل القناعي في حركة الإصلاح والتجديد. اشتهر بأفكاره المتحررة وآرائه النيرة. اشتغل بالتدريس والتوعية والتأليف. وسافر في سبيل دعوته إلى البحرين والاحساء والحجاز وأندونيسيا. أشهر كتبه «تاريخ الكويت» الذي يعتبر مرجعاً أساسياً في دراسة تاريخ الكويت والخليج في حقول السياسة والإجتماع والأدب. كما انه أصدر أول مجلة ثقافية جامعة في تاريخ الخليج العربي وهي مجلة «الكويت» ـ على حد تعبير الدكتور محمد جابر الأنصاري، اقرأ «لمحات من الخليج العربي»، الطبعة الأولى، ابريل ١٩٧٠، صفحة ١٤٤ وصفحة ١٤٥.

وهكذا يصبح كتاب الرشيد لتاريخ الكويت، معلماً تاريخياً متماسك الأطراف، له في حناياه خطرات ونظرات يسوقها بين الحين والحين، او في ثنايا مجلته «الكويت» يسوق مثلها بين الفينة والفينة، أو يكتب خطراته في تعليقاته الصحفية هنا وهناك، كالهلال، والشورى والمنار، او يكتب تعريفاته بالكتب الصادرة يومذاك.

فالقراءة السريعة او الفاحصة لآراء الرشيد المتناثرة، تفيد ان مؤرِّخنا ناضج الفكر، مستجاد للرأي.. وخلاصة ما يفيده القارىء من قراءته لتلك الآراء المتناثرة، ان الرشيد ربط الأدب بفكرة السرد التاريخي بفكرة التقدم، وبفكرة التمدن الحضاري الواعي.. وانه مارس كتابة مادة التاريخ بغرض دفع

Scanned with CamScanner

الدراسات التاريخية لمسايرة روح العصر.. ومن ثم كان التحقيق عنده أقرب ما يكون الى التقدير والتوجيه، والتطلع إلى مكانة جديدة في تاريخ الكويت ودورها الثقافي، على الساحة الخليجية والعربية والعالمية.. «ولولاه لكلفنا البحث عن ذلك الكثير، ولجهلنا كثيراً من ماضي الكويت ونحن نشهد حاضرها الحي الفياض، فتحية لتلك النفس الزكية، واكباراً لتلك الهمة العلية، وإعجاباً بذلك الجهد الفريد الذي نتمنى ان يجتمع على مثله عشرات» ـ كما جاء على لسان الطائي ـ

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمرٌ عنى

وقد تتبعت آراء الرشيد المتناثرة في أعداد مجلة «الكويت» علاوة على كتابه «تاريخ الكويت»، وتعليقاته وتعريفاته بالكتب والصحف الصادرة في أيامه، واستخلصت منها أفكاره التاريخية، والدينية، والإصلاحية، والأدبية، والشعرية، وعرضتها عليك، أيُّها القارىء، في صورة مختصرة في ثنايا هذا الكتاب، الذي بين يديك، وقد سجلت ما عنَّ لي تسجيله أثناء تسطير هذه الصفحات.

أمَّا فيما يخص كتاب «تاريخ الكويت، فقد قسم مؤرِّخنا كتابه إلى قسمين رئيسيين.. جاء القسم الأول حول تاريخ الكويت سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. وجاء القسم الثاني حول تاريخها الأدبي..» ومن هنا جاءت ميزة كتابه فقد ضمَّ كل ما يهم المؤرِّخ، أمَّا الناحية الأدبية فجاءت طريفة رائعة

Scanned with CamScanner

عدّد فيها الشعراء واحداً إثر الآخر، وأقام بذلك البرهان على حيوية الكويت وتدفق المشاعر بها وازدهار الأدب فيها ـ على حد تعبير الطائي.

وأخيراً وليس آخراً، جدير بنا ان نقرأ بضع كلمات قالها الطائي في حق الرشيد، مؤرخ الكويت الأول.. هذا نصها:

«من الناس مَن يحمل عبء الآلاف محتملاً كل ما يجابهه من مشاق، يخوض الظلمات في سبيل غايته وتلاحقه العيون مستنيرة بقيادته، فتراه يسير في طريقه ويسلك نحو مطلبه حتى يبلغ فيه الشوط ويحقق منه الغاية، وعند ذلك يهدأ فكره ويتنفس الصعداء صدره، ويستقر بتحقيق مطلبه، فذلك هو الاستقرار كل الاستقرار. ومن هؤلاء أديب كويتي، شارك في البناء لهذه البلاد الواثبة، ووجه الشباب نحو غايات رشيدة أثبتت للكويت الكريمة مكانتها في التاريخ ودورها في الثقافة».

Scanned with CamScanner

(٦)

الرشيد شاعراً

كان عبد العزيز الرشيد، شاعراً ودارساً للشعر، وناقداً له، وموجهاً لشعراء عصره، ومشجعاً لهم على التجديد والإبداع. . وقد جعل مجلة «الكويت» منبراً يخاطب الأدباء من خلاله، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم وصلاح مجتمعهم. . وقد تصاعدت دعواته الأدبية من التقليد إلى الابتكار. . وكان وراء كل ظاهرة يدرك من خلالها بوادر الخير لكويته الحبيبة على نفسه، وعلى كل جارحة من جوارحه، وجارحة من جوارحنا

تطلع الرشيد، إلى تجديد الشعر، والخروج على بعض أغراضه القديمة، وطرق صياغته، والتحرر من أدب زمانه المثقل بالمحسنات البديعية والزخارف اللفظية. . ودعا إلى جزالة الأسلوب في صياغة النثر والبعد عن المبالغة. . كما دعا إلى التحرر من التقاليد غير العملية الموروثة شعراً أو نثراً. .

Scanned with CamScanner

فقفز في كتاباته قفزة جريئة بالنسبة لتلك الأيام.

وقد تأخذنا الدهشة إذا عرفنا ان هناك كباراً من شعرائنا الأوائل، قد تجادلوا طويلاً حول قيمة القافية ووزنها في القصيدة وهل الوزن والقافية من أركان الشعر؟ أم هما حلية وزينة له فحسب؟.. ويجيبنا أبو تمام قائلاً:

أمَّا المعاني فهي أبكار إذا نصت ولكن القوافي عون

«فقوام الشعر وجوهره عند القدماء» ـ كما يقول الفارابي ـ «هو ان يكون قولاً مؤلفاً ما يحكي الأمر وان يكون مقسوماً بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية ثم سائر ما فيه، فليس بضروري في قوام جوهره، وإنَّما هي أشياء يصير بها الشعر أفضل، وأعظم هذين في قوام الشعر هو المحاكاة، وعلم الأشياء التي بها المحاكاة أصغرهما الوزن» ـ راجع كتاب «نظرية الشعر عند فلاسفة المسلمين»، تأليف ألفت كمال الروبي ـ

وللرشيد، رأي في سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير دولة الكويت، أصبح جزءاً موثقاً من تاريخ الكويت المجيد، يجدر بنا ان نذكره، وان نرى من بعده ـ على رأي الطائي ـ كيف صدقت نظرة المؤرِّخ حيث قال يرحمه الله:

يا أيُّها العلم الراقي بفطنته
أوج الصواب وصدق الرأي والخبر

Scanned with CamScanner

إنـي غـدوت وأيـم الـحـق مـنـتـعـشـاً
من بعد ما كنت من يأسي على خطر
إنـي طـربـت لأحـداث أتـيـت بـهـا
وقـد حـكـت بـسـنـاهـا طـلـعـة الـقـمـر
لـم لا فـديـتـك لا أنـفـك مـنـتـعـشـاً
وأنـت تـقـذف مَـن يـأتـيـك بـالـدرر
فـمـن مـحـادثـة فـي الـعـلـم رائـقـة
الـى مـذاكـرة تـجـلـو صـدى الـفـكـر
إلـى مـسـائـل فـي الآداب تـذكـرنـا
عـصـر الـرشـيـد وعـصـر الـسـادة الـغـرر
لـذا وحـقـك لـم أبـصـر لـطـلـعـتـكـم
إلاَّ وبـت بـإنـس قـد جـلا كـدري

وقد قدّم الشاعر لقصيدته أعلاه بقوله: «زرت سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح، يوماً، بعد طول غيبة، فأخذ يطارحني أدام الله فضله المسائل العلمية والأدبية بمهارة غريبة، كان في أثنائها يرميني بمسائل واشكالات حرتُ بها ووقفت أمامها موقف المعجب بذكائه الفطري واستعداده الغريزي، وقد دفعني ذلك ان أُقدّم لسموه قصيدة أبثه فيها إعجابي به وبأبحاثه الشيقة اللذيذة».

وظلَّ الشاعر عبد العزيز الرشيد، وراء كل مبادرة يدرك من خلالها الخير والازدهار الثقافي والعلمي والإجتماعي والسياسي لبلاده. . فتراه يناقش العامة والخاصة بغية تسليط

Scanned with CamScanner

الضوء على محاور التقدّم والتطور والانزياح إلى مرجعية العصرنة السليمة من شوائب الدخلاء.. ولا ينفك يدعو إلى آفاق النهضة الشاملة في كل ميادين الحياة.. بمثل هذا الحماس استقبل الرشيد، الزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي، عندما زار الكويت عام ١٣٤٣ هجري، فحباه بقصيدة شاعرية جاء في مضمونها:

يـا مَـن عـلا مـتـن الـزعـامـة مـدركـاً
مـا لـيـنـس يـدركـه أخـو اهـمـالِ
إنَّ الـزعـامـة بـاسـمـكـم قـد شـرفـت
وسـواك يـحـسـبـهـا حـلـى ولآلـي
إن الـكـويـت تـزيـنـت بـقـدومـكـم
يـا زيـنـة الأقـران والأبـطـالِ
أنـظـر إلـيـهـا قـد بـدت فـي وشـيـهـا
تـمـشـي ابـتـهـاجـاً مـشـيـة الـمـخـتـالِ
حـظـيـت بـعـيـدٍ يـوم زرت ربـوعـهـا
وزيـارة الأبـطـال عـيـد غـالـي
فـي كـل نـادٍ مـن نـوادي أهـلـهـا
خـبـر يـسـر عـن الـزعـيـم الـغـالـي
هـذا يـقـول ألا ابـشـروا قـد زاركـم
أسـد الـعـريـن وغـابـة الآمـالِ
وسـواه يـهـتـف بـالـمـسـرة قـائـلاً
أنَّ الـجـهـالـة آذنـت بـزوالِ

Scanned with CamScanner

أهـل الـكـويـت فـعـظـمـوا مـن ضـيـفـكـم
بـــظـــلالـــه فـــي الـــمـــكـــرمـــات عـــلالِ
بـــظـــلالـــه يـــوم الـــنـــزال مـــهـــابـــة
مـنـهـا الـجـمـوع تـصـاب بـالإجـفـالِ
ولـــه اذا مـــا الأمـــر أصـــبـــح مـــشـــكـــلاً
رأي يـــحـــل غـــوامـــق الأشـــكـــالِ

Scanned with CamScanner

(٧)

الرشيد مصلحاً اجتماعياً سائحاً

تتجلى نظرات الشيخ عبد العزيز الرشيد الإصلاحية وآراؤه السياسية والإجتماعية ومواقفه الوطنية، أكثر ما تتجلى في هاجس رحلاته الإصلاحية إلى البحرين والاحساء والحجاز وأندونيسيا.. وتُعد هذه الرحلات كبرنامج إصلاح وتوعية للمجتمعات التي زارها.. ومما ساعد دعوته على النجاح، رصانة الداعية وخبرته، وتحمله مشقة الأسفار، أيامذاك.

أقام الرشيد في البحرين، بعد إحضار عائلته إليها، ما يقارب من ستة أعوام متواصلة.. والسبب في ذلك «لطف أهل البحرين ورغبتهم في ان يدرس فيها».. وبالفعل نفذ ما وعد به أهل البحرين بانضمامه إلى سلك التعليم في مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق، ومدرسة الهداية الخليفية بالمنامة.. وساهم بإلقاء الخطب الإرشادية في صلاة الجمعة بأحد جوامع المنامة.. وشارك في أنشطة التجمع الثقافي بالمنتدى

Scanned with CamScanner

الإسلامي.. وكان يقوم بتحرير مجلة «الكويت» من على طاولته بإحدى غرف المنتدى.

لكن نزعة هاجس الإصلاح الإجتماعي والديني ثار في خلجات قلبه، وبدأ حنينه للسفر يعود إلى نفسه.. ومرة أخرى مفاجئة يحزم حقائب سفره، ويغادر البحرين، دون ان يعير معارضة أهل البحرين لمشروع المغادرة أي انتباه.. لكنه يصمم على السفر ويتجه هذه المرة إلى أندونيسيا في منتصف الثلاثينيات من هذا القرن، الذي نحن على عتبات زواله وزال بالفعل ودخلنا الألفية الثالثة ـ كان ظهر مركب بخاري وسيلة سفره إلى أندونيسيا وليتم سياحته في جنوب شرق آسيا.

ويلتقي في أندونيسيا بزميله يونس البحري، ويصدران على الفور مجلة جديدة هي مجلة «الكويت والعراق» ثم يواصل سير سياحته التعليمية إلى جاوة ومدن أخرى في جنوب شرق آسيا ـ كما مرَّ بنا أعلاه ـ

تزوّج الرشيد من فتاة أندونيسية مسلمة، وأثمرت هذه الزيجة ببنت فريدة.. تزوجّت هذه البنت، بعد ان أصبحت شابة في عمر الزواج من شاب مسلم أندونيسي، وأنجبت له البنين والبنات.. وما إن وصلت ابنة الرشيد برفقة زوجها وأولادها وبناتها، الى الكويت، حتى كرمتهم حكومة الكويت ومنحتهم جميعاً الجنسية الكويتية من الدرجة الأولى، اكراماً لصاحب الشأن.. والجدير بالذكر فقد زار بعض من أبناء

Scanned with CamScanner

وأحفاد المعلم الجليل عبد العزيز الرشيد، مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق، في زيارة خاطفة إلى البحرين عام ١٩٧٦، لإحياء ذكرى جدهم الراحل ـ طيَّب الله ثراه ـ

على أية حال، لم ينس الرشيد، وشائج صلاته القوية بالبحرين، وأبناء البحرين، عند مغادرته أرضها.. ولا غرو في ذلك، فقد كان للنخبة المثقفة الواعدة بالبحرين أقوى وشائج المحبة مع النخبة المثقفة الناهضة بالكويت الشقيقة منذ بدء مطلع القرن العشرين، وكان يمثلها كل من المؤرِّخ عبد العزيز الرشيد، والمصلح الإجتماعي الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والأديب سلطان بن ابراهيم الكليب، والشاعر صقر ابن سالم السيب.. وغيرهم.. ويقابلهم نخبة بحرينية على رأسها الشاعر الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة، والشاعر الشيخ محمد بن عيسى الخليفة، والوجيه الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني، والأديب محمد علي التاجر، والصحفي المعروف عبدالله الزائد، والشيخ محمد بن عبدالله آل خليفة، ومحمد صالح يوسف خنجي، وأمثالهم.

كانت كلتا الفئتين تلقيان الكثير من «العنت والتعويق من المثبطين» ـ على حد قول المؤرِّخ مبارك الخاطر ـ في سبيل دعوتهما للإصلاح الإجتماعي المنشود في الكويت والبحرين.. كانت النخبة المثقفة في البلدين، تدعو إلى عامل النهوض من خلال التعليم المنظم المتطور الأساليب، على عكس رأي

Scanned with CamScanner

المثبطين، الذين ينظرون في أساليب التعليم والتعلم العصري، آنذاك، زيفاً وشططاً، عما توارثوه من نظم تعليمية قديمة، أكل عليها الدهر وشرب.

وها هوذا المصلح الإجتماعي عبد العزيز الرشيد، يكتب إلى نظيره عبدالله الزائد في البحرين عام ١٩٢٥، أي قبل هجرته إلى البحرين - إن صحَّ التعبير - يطلعه على ما يمارسه المعوقون للنهضة العلمية المتطورة في أرجاء الكويت، من الجهلة والدجّالين.. حيث يقول: «للدجالين آثارهم السيئة في كل بلد وكل محيط.. ولهم من الهيمنة على العقول والأفكار، ما يستصغر معها كل هيمنة وسلطان، وللكويت منهم حظ كبير ونصيب، كما لغيرها. وهم فيها كثيرون لا كثرهم الله.. وفي هؤلاء قلت من قصيدة أرسلتها - في العشرينيات من مطلع القرن العشرين - إلى صاحبنا الفاضل نابغة البحرين ونبراسها عبدالله بن علي الزائد» هذا نصها:

أيُّـهـا الـسـيـد إنِّـي فـي عـنـا
مـــن مـــداراة جـــهـــول أرذلِ
إنَّ أقـل حـقـاً تـراه مـغـضـبـاً
وتـراه مـصـغـيـاً لـلـعـذلِ
وتـراه دائـمـاً مـن جـهـلـه
ضـاربـاً رأس الـهـدى بـالـمـعـولِ
بـل تـراه مـصـلـتـاً سـيـف الـعـدا
لـيـذيـق الـحـق كـأس الـحـنـظـلِ

Scanned with CamScanner

حـالـة مـنـهـا الـمـعـالـي زُعـزعـتْ
وبـهـا ديـن الـهـدى فـي مـشـكـلِ
ويـح قـلـبـي يـا خـلـيـلـي إن يـكـن
كـل وغـد بـيـن قـومـي يـعـتـلـي
وعـلـيـه الـجـل يـمـسـي عـاكـفـاً
راجـيـاً مـنـه انـجـلاء الـمـعـضـلِ
إن يـقـل جـهـلاً يـقـولـوا قـد أتـى
بـعـلـومٍ هـي فـتـح لـلـولـي

وردَّ عليه الأستاذ عبدالله الزائد ـ في حدود عام ١٩٢٥ م ـ بقصيدة رنانة مماثلة، معنونة «قم.. فقد لاح» يقول في مطلعها:

قـم فـقـد لاح بـريـق الأمـل
مـشـرقـاً يـنـشـر نـوراً مـن عـلِ
وتـدلـت لـلـعـلـى أسـبـابـه
بـعـد يـأس جـذهـا كـالـمـنـجـلِ
قـم وجـدد مـكـتـبـاً تـمـلـي بـه
وحـي قـلـب كـالـزمـان الأولِ
وأبـعـث الـشـعـر شـعـوراً طـافـحـاً
يـهـزز الـنـفـس كـهـز الأمـلِ
مـرحـبـاً بـالأدب الـجـم الـذي
فـاض مـنـه مـنـهـل عـن مـنـهـلِ
مـرحـبـاً بـالأدب الـجـم الـذي
تـخـصـب الـنـفـس بـه فـي الـمـحـمـلِ

Scanned with CamScanner

بـــأديـــب عـــبـــقـــري أروع
بـحـجـاه كـل شـك يـنـجـلـي
بـالـذي يـبـعـث لـي مـن نـثـره
ذوب إكـسـيـر فـيـشـفـي عـلـلـي
هـــو عـــدل هـــو طـــبـــق لـــلـــذي
سـنـه الـخـالـق مـنـذ الأزلِ
يـا لـقـومـي مـن فـنـاء عـاجـل
من عـدى (انـجـلـتـرى) الـمـسـتـفـحـلِ
مـزقـتـنـا أرهـقـتـنـا واغـتـدت
مـثـل داء قـد سـرى فـي الـعـضـلِ
لا نـطـقـنـا لا عـقـلـنـا لا ولا
قـام مـنـا قـائـم فـي مـحـفـلِ
إن تـركـنـا شـعـبـنـا فـي جـهـلـه
ونـعـمـنـا بـالـغـنـى فـي مـعـزلِ
أو رأيـــنـــا قـــومـــنـــا فـــي ذلـــة
فـجُـبـنـا خـشـيـة مـن مـعـقـلِ

❀ ❀ ❀

أيـهـذا الـسـهـم مـزقـت الـحـشـا
بـشـكـاة مـن جـهـول أرذلِ
قـل سـلامـاً ثـم أعـرض عـنـهـمـو
جـهـلـهـم رامـيـهـمـو فـي الـمـقـتـلِ
لا تـحـاذر مـن خـيـال زائـل
انـهـم مـن عـمـرهـم فـي الأرذلِ

Scanned with CamScanner

إنَّ أدوار الـــــــــورى دائـــــــــرة
فـــي ارتـــقـــاء رغـــم قـــطـــب أولِ
ويـــنـــظـــم هـــو فـــي تـــفـــصـــيـــلـــه
ســـبـــل الـــنـــور ونـــور الـــســـبـــل
لـــك مـــنـــي شـــكـــر صـــب مـــولـــع
بـــالـــمـــعـــالـــي فـــي بـــهـــاء الـــمـــطـــلِ
لـــك مـــنـــي شـــكـــر مـــوتـــور يـــرى
فـــيـــك ذخـــر لـــلـــمـــلـــم الـــجـــلِ
كـــيـــف لا آمـــل لـــلـــجـــلـــى فـــتـــى
رغـــم مـــا صـــادفـــه لـــم يـــحـــفـــلِ
رغـــم جـــهـــل وغـــشـــاء وهـــوى
لـــم يـــحـــاذر لـــم يـــدع لـــم يـــهـــمـــلِ
يـــا خـــلـــيـــلـــيَّ دعـــانـــي والأســـى
فـــفـــؤادي بـــالـــجـــوى فـــي مـــرجـــلِ
واتـــركـــا لـــي مـــدمـــعـــي أطـــغـــى بـــه
واهـــجـــاً بـــيـــن الـــحـــشـــا والـــكَـــلـــكـــلِ
لـــهـــف نـــفـــســـي لـــهـــف أيـــام مـــضـــت
يـــوم كـــنـــا هـــامـــة فـــي الـــدولِ
يـــوم كـــنـــا والـــعـــلـــى فـــي مـــنـــزلٍ
والـــرزايـــا والـــعـــدا فـــي مـــنـــزلِ
وغـــدونـــا فـــي فـــخـــار رائـــع
لـــم يـــكـــن يـــكـــســـف لـــو لـــم نـــجـــهـــلِ

Scanned with CamScanner

وغـــدونـــا فـــي صـــعـــود دائـــم
لـــم يـــكـــن يـــغـــرب لـــو لـــم نـــهـــملِ

ويغتنم الشيخ عبد العزيز الرشيد. كل مناسبة تمر عليه ليعلق على أبيات صديقه عبدالله الزائد.. فقد قال ذات مرة «وقد يكون حفظه الله مصيباً في عتابه فإنِّي أرى فيهم كما يرى، ولكنها نفثة مصدور رميت بها إليه، إظهاراً لحقيقة هؤلاء الدجّالين لمَن لا يعرفهم، ولا يعرف ما نعانيه في سبيل مقاومتهم» بالوعظ والإرشاد، لكنهم في طغيانهم يعمهون، وفي غيهم لا يتزحزحون».

Scanned with CamScanner

(٨)

الرسائل المتبادلة بين مؤرِّخ الكويت ورائد النهضة الأدبية في البحرين

بعد أكثر من ثلاثة وسبعين عاماً من تاريخ تحرير أول رسالة من المؤرِّخ عبد العزيز الرشيد، إلى رائد النهضة الأدبية في البحرين، الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة، مؤرَّخة في الكويت، في ٢٢ جمادى الآخر سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م ـ راجع كتاب «مع شيخ الأدباء في البحرين ابراهيم بن محمد آل خليفة» ١٨٥٠ ـ ١٩٣٣» للمؤلِّفة الشيخة مي محمد آل خليفة، الطبعة الأولى تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٣، صفحة ١٧٤ ـ من مضمونها يطلب المؤرخ الكويتي من رائد النهضة البحريني بعض المعلومات التاريخية، عن سبب ارتحال آل صباح وآل خليفة من منطقة الهدار. . ويسأل عن السنة التي نزلوا فيها الكويت.

وليست مثل هذه الرسائل مجرد أوراق صفراء قديمة

Scanned with CamScanner

تضيف كماً إلى تراث الثقافة العربية الخليجية، لكنها، من وجهة نظري، لآلىء أدبية وتاريخية نادرة، وأحجار كريمة نفيسة.. لها في نفوسنا سحرها الأخاذ، تنبض بتاريخ المنطقة الخالدة.. وتزخر بالمعرفة الانسانية، التي تفتح الآفاق المشعة على جوانب وأبعاد، في شخصية كل من الأديب الشاعر الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة، والأديب المؤرِّخ الشيخ عبد العزيز الرشيد.. وتسلط الضوء على ثقافتهما وروابطهما الفكرية والأدبية والتاريخية والسياسية والاجتماعية.. كما تفتح الآفاق على جوانب وأبعاد الظل والأكثر خفاء في تاريخنا الأدبي والإجتماعي والسياسي.. ولولاها لما توصلنا إلى رصد تاريخ المنطقة وتسجيل أحداثها على النمط الموجود، ولما استطعنا التعبير عنه بكل ما احتشد فيه من مواقف متعارضة، وقوى متصارعة، وهلمجرا، قد لا نستطيع ان نضع أيدينا في خط تاريخ منطقة الخليج الفاصل بين الحق والباطل أو بين الخير والشر.

وقد حان الحين لنقرأ الرسالة الأولى ونصها:

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى البحرين:

إلى حضرة الأستاذ الجليل والعلامة المحقق الأخ في الله الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة. المحترم سلمه الله آمين.

تحية وسلاماً إلى ذاتكم الكريمة، وأشواقاً أسوقها لمجالسكم العامرة وتقديراً لفضلكم السامق وأدبكم الغزير.

أخي العزيز أملي في سعادتكم ان تمن على تاريخ الكويت بنظرة من نظراتكم الصائبة وفوائدكم العزيزة التي عودتنا إيّاها أيُّها المفضال الكريم، سيما ما طلبته من فضيلتكم سابقاً وهو سبب ارتحال آل الصباح وآل خليفة من الهدار. فإنِّي لا أكتمك أيُّها المحقق أني لم أعثر على شيء من ذلك في الكويت. فعساك لا تبخل علينا بذلك الذي سنعدّه خدمة كبرى على التاريخ وكذلك السنة التي نزلوا فيها الكويت إذا كان ذلك معلوماً لديكم بالتحقيق او التقريب القريب.

هذا وأرجو الإسراع بذلك ولو حصل لحضرتكم شيء من المشقة فاحتسب فضله خدمة العلم والأدب.

Scanned with CamScanner

الكويت ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م

محبكم المخلص

عبد العزيز الرشيد

ويصل الرشيد، ردٌّ من الشيخ ابراهيم، ضمن رسالة فحواها:

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أخينا الفاضل الأستاذ الشيخ عبد العزيز الرشيد المحترم.

أهدي إليك جزيل السلام مصحوباً بالمودة والاحترام، وأُقدّم إليكم الشكر الجزيل على حسن ظنكم بأخيكم وأُهنّىء نفسي بصداقتكم، وأرجو لكم الفوز والنجاح في طريق الخير والصلاح.

ثم أيُّها العزيز قد وصلني كتابك الكريم وسرنِّي ما تضمّن من مظاهر مواهبك العقلية والأدبية ودرسك المواضيع الإجتماعية وعلو همتك في تطلبك للحقائق التاريخية، وحمدت الله على ذلك، وقلت أكثَرَ الله في الأمة من أمثالك.

أمَّا ما أشرتم إليه من طلب الملاحظة على النبذة التي كتبتم بمجلة ـ الحرية ـ بشأن الكويت والكويتيين فامتثالاً

لأمركم واعتباراً لمقامكم نعرض بين أيديكم معلوماتنا الخاصة فيما يتعلق بوطن آل الصباح القديم واخوانهم آل خليفة، ولكم ان تبحثوا في تحقيق ذلك مع مَن يحب البحث من أهل الدراية في هذا الموضوع.

أمَّا وطن آل الصباح وإخوانهم آل خليفة القديم فهو (الهدار) المعروف من بلدان الأفلاج وعشيرتهم (اجميلة) بالتصغير وبيتهم معروف بين عشيرتهم بـ (البجاديين) واجميلة بطن من قبيلة عنزة وأقرب العنزيين إليهم (الاعمارات).

هاجروا من وطنهم لأسباب لو ذكرناها لطال شرحها، فجاؤوا إلى الكويت هم وبنو عمهم ومَن معهم من غيرهم واستوطنوها.

وكان فيها على ما بلغنا بعض العرب الذين يتعاطون الأسباب في البحر وليس فيهم أو عليهم رئيس يعرف وفي مدة إقامة آل خليفة في الكويت كانوا يتعاطون أسباب التجارة في اللؤلؤ، فيأتون في موسم البيع والشراء الى البحرين وقطر كما هي العادة الآن ـ يعني يومذاك ـ

وجرت أسباب أوجبت نزوحهم من الكويت الى قطر فاستأذنوا حكّام قطر آل مسلم في النزول في الطرف الشمالي من قطر فأذنوا لهم فبنوا هناك قلعة لا تزال باقية إلى الآن. ثم بعد مدة من الزمن أسَّسوا بلدة (الزبارة) ومن هنا يمكنكم الحكم على صحة الرواية التي ذكر فيها ان آل صباح مروا على

Scanned with CamScanner

الزبارة قبل نزولهم الكويت. وكذلك رواية ان (آل مناعي) حكّام قطر مع ان حكّام قطر إذ ذاك آل مسلم المعروفين في قطر وعندِ أهل قطر بالشيوخ الى اليوم - يقصد يومذاك.

وفي معلومكم ان موضوع بحثكم واسع يقتضي اطلاعاً تاماً وإحاطة عامة وليس لدينا من ذلك إلاَّ ما سمعناه من الآباء عن آبائهم والناس مؤتمنون على أنسابهم وهم أعرف بأوطانهم القديمة من غيرهم ومشروعكم واجب على أمثالكم وأنتم أهل للِقيام بهذا الواجب. وفي همتكم ما نرجو ان يسهل كل ما يتعرضكم من الصعوبات.

بقي مسألة (دارين) فمعلومات أخيكم عنها ان نسبة المسك والطيب والنسيج إليها كنسبة الرماح الخطية إلى الخط، أي بلدة القطيف فإنَّ القطيف ودارين فرضتان للسفن التي تأتي من الهند وغيرها وتجلب ما تحتاج إليه العرب من رماح ومسك ونسيج وغير ذلك فيأتي العرب من نجد والقصيم ويبرين إلى هاتين البلدتين فيمتارون منهما ما يحتاجون إليه وينسبون إليهما أشرف ما يأخذونه منهما فيقولون مسك دارين والرماح الخطية. وأمَّا غيرها من الطعام فيكنون عنه بامتلاء الحقائب كما ورد في قول بعض شعرائهم:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب

وأمَّا اللؤلؤ فلم تشتهر به دارين فيما نعلم لا صيداً ولا

Scanned with CamScanner

تجارة بل المشهورة بذلك جزيرة أوال، حتى قال أبو العلاء المعري يصف الدمع:

فلو كان حقاً ما ذكرتن لاغتدت

مسافة هذا السّيف سيف أوال

إلى هنا انتهى كل ما وسعنا أو سمح به الوقت من الملاحظات على ما كتبتم إجابة لطلبكم على انها صورة اجمالية. وفي الختام كونوا على ثقة من اعتبارنا لكم والله المسؤول ان يوفقنا وإيّاكم لما فيه خير البلاد والعباد.

محبكم ابراهيم

وننتقل إلى رسالة أخرى من الشيخ ابراهيم إلى الرشيد حول «تاريخ الكويت». . جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أخينا الفاضل الشيخ عبد العزيز الرشيد المحترم

تحية وسلاماً وثناءً واحتراماً،

ثم أيُّها الصديق العزيز قد تشرفنا بكتابك الكريم مؤرَّخ (. . .) ـ هكذا بياض بالأصل من المسودة ـ ومصحوبه النفيس ـ يقصد به مؤلف الرشيد، المعنون «تاريخ الكويت» ـ الذي هو ثمرة من حياتك المعنوية وشاهد عدل على علو همتك ورغبتك الصادقة في أداء الواجب القومي والوطني معاً فشكراً لك على

Scanned with CamScanner

ما قمت به: حفظت فوعيت وجمعت فأوعيت. وسلمت فيه من التقصير والقصور.

أكثَرَ الله في أمتك من أمثالك وبلغك فيها آمالك إنَّه على كل شيء قدير.

محبكم ابراهيم

وحان الحين كي نقرأ لكم رسالة من الرشيد مؤرَّخة في ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م معنونة إلى الشيخ ابراهيم، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكويت إلى البحرين

إلى حضرة الأكرم الأفخم العلامة المحقق الشيخ الجليل الأستاذ الفاضل ابراهيم بن محمد آل خليفة، دام مجده وعلاه،

تحية واحتراما،

وبعد يا مولاي وصلني كتابكم العزيز سابقاً فشكرت فيه عطفكم وحنوكم واليوم أزف البشارة إلى حضرتكم بعزمنا على إصدار مجلة شهرية في الكويت تطبع في البصرة. وقد حضرنا أول عدد منها وعرضناه على سمو الأمير فأصدر أمره بطبعه. وربما سافرت إلى البصرة في القريب لمباشرة طبعه هناك،

Scanned with CamScanner

وسنقدم اليكم بعد طبعه نسخاً تشرفون عليها مسرورين. والمجلة يا مولاي تأمل من فضيلتك ان تكون من أنصارها والآخذين بعضدها وهي لا ريب ستتنوع مواضيعها المختلفة التي تنحصر في الأبواب التالية: الدين والرد على خصومه، الأخلاق، القديم الجديد، التاريخ، الأدب، التراجم، اللغة، الفتوى، فوائد جامعة، مقتطفات من الصحف، التقريظ والانتقاد، وأسمها (الكويت) وعلى كل حال فهي في حاجة كبرى إلى مساعدتكم لها بنفثات قلمكم الميمون وبإتحافها بما لكم من غرر القصائد والشعر والمقالات الممتعة البديعة بما يناسب موضوع المجلة. هذا ما لزم، وأبلغ سلامي للأولاد الكرام ومن لدنا الشيخ يوسف يبلغك السلام. وقد صدر أمر سمو الأمير ان يكون الشيخ يوسف هو المراقب على المجلة كل شهر.

١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م

محبكم عبد العزيز الرشيد

وأرسل الرشيد، العدد الأول من مجلة «الكويت» الى الشيخ ابراهيم، بتاريخ ٢٢ من ذي القعدة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م وهذا مضمونها:

من الكويت إلى البحرين في ٢٢ ذي القعدة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م

Scanned with CamScanner

إلى حضرة الكريم الماجد الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة دام عزه،

سلاماً واحتراما،

وبعد، فقد بعثنا إلى حضرتك اليوم بأول عدد من مجلة الكويت التي أصدرناها بفضل سمو أميرنا المعظم اعتماداً على رغبتك في العلم وميلك للأدب، فعسى ان تفوز برضاك، وتقع أبحاثها منك موقع القبول وهي ترجو ان تساعدها بآرائك النافعة وملاحظاتك السديدة مع بيان الخطة التي يجب ان تسير عليها في المستقبل من الأيام، فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

إنَّ (الكويت) يا مولاي تتقدم إلى حضرتك على استحياء فهل ستتفضل عليها بالقبول والرضا؟ وهل ستمدها بنفثات يراعك السيال. الأمر الآن لفضيلتكم والأمل بكم كبير وكبير جداً.

المخلص

عبد العزيز الرشيد

وكان الرد من الشيخ ابراهيم إلى الشيخ الرشيد، على هيئة تقريظ لمجلة الكويت.. كانت الرسالة مؤرَّخة في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م.. جاء فيها:

من البحرين إلى الكويت في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م.

Scanned with CamScanner

جناب أخينا الفاضل الشيخ عبد العزيز الرشيد المحترم

بعد التحية والاحترام: فقد تشرفنا بورود كتابك الكريم مصحوباً بالتحفة الأدبية والهدية التي هي الأمنية ألا وهي (مجلة الكويت).

فيا أيُّها الصديق: إنِّي أُهنّئك وأُهنّىء نفسي معك بظهور (مجلة الكويت) حالية ـ أي مزينة بحلى ـ بالأبحاث المفيدة والمواضيع السديدة، ولا عجب فالمجلة نتيجة مقدمات صادقة وثمرة جهود سابقة فهي تبشر بفجر يقظة ونهضة بعد غفلة وهجعة، عسى رجال الأمة العربية من سكان ساحل الخليج ان يقدّروها فيجنوا من ثمرها في كل حين ما يجمع لهم بين اللذة والفائدة وهي الكفيلة لهم بتنبيه النائم وتذكّر الغافل وتنشيط الكاسل وإنارة الطريق للمجد العامل.

ومَن نظر بعين بصيرته إلى مركز (مجلة الكويت) حكم لها بالنجاح والفلاح لأنَّ الفراغ الذي تقوم بسده في المحيط ضروري وفي حاجة إلى أمثالها.. ونسأل الله لكم الإعانة والتوفيق في خدمة أمتكم.

انتهت الرسالة

وكتب الرشيد الى الشيخ ابراهيم، رسالة في شأن طلب مقالات للمجلة، مؤرَّخة في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م.. بهذا النص:

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة الأستاذ الجليل الكريم المفضال الأخ العزيز
الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة، دام مجده وعلاه.

تحية واحتراماً،

وبعد فإنِّي أتشوق إلى حضرتكم، وقد كتبت إلى سعادتكم قبل هذا كتابين ورجوت في أحدهما ان تتفضل على مجلة الكويت بشيء من نفثات قلمك السيال.

واليوم أكتب الى حضرتكم أيضاً راجياً هذا الرجاء نفسه مع إحضار ترجمتكم لتحلي بها جيد (الكويت) ثم أخبر سعادتكم اني سأتوجه اليكم في الشهر المقبل.

جميعنا على أحسن حال وأنعم بال، هذا ما لزم

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م.

محبكم المخلص

عبد العزيز الرشيد

Scanned with CamScanner

ويلحق بالرسالة أعلاه، رسالة أخرى موجّهة أيضاً إلى الشيخ ابراهيم، مؤرّخة في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) حول شؤون زيارته للحجاز، جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مكة المكرمة الى البحرين ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م).

حضرة المكرم المفضال الوجيه الجليل الأستاذ المحقق مولاي الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة المحترم،

تحية واحتراماً: وبعد، فإنِّي بخير وأرجو ان تكونوا كذلك ثم ـ مولاي ـ لقد شق علينا فراقكم ـ إذْ كان الرشيد ضيفاً لدى الشيخ قبل سفره إلى الحجاز ـ ولا زلت أتذكر تلك الشمائل الطاهرة والأخلاق الفاضلة التي منحكم الله إيّاها.

وصلت مكة المكرمة ولقيت فيها من حفاوة وإكرام صاحب الجلالة ـ الملك عبد العزيز آل سعود ـ ما أنساني بعض ما كنت أُقاسيه من بُعدكم، ولقد كنت عند جلالته في أعز مكان وفي أرفع منزلة، فمنزلي بجانب قصره، والفنجان الثاني بعد جلالته وجدته موجهاً في الغالب إليّ ـ في المجالس العربية يقدم الفنجان الأول إلى زعيم القوم، أمَّا الفنجان الثاني فيقدم لأهم ضيوفه، كتقليد عربي خالص ـ

Scanned with CamScanner

وقد أظهر جلالته أخيراً رغبته في سفري إلى (جاوة) لبعض الشؤون وتفضل علينا بمئة جنيه انكليزي وبكسوة فاخرة.

في ٢٠ ذي القعدة ألقيت درساً في الحرم الشريف كان له أحسن وقع في نفوس القوم، وكذلك اختيارنا لمدارس المعارف في مكة وجدة حصل له وقع جميل في نفوس المدراء والمعلمين والتلامذة.

هذا ما لزم ولا بد ان نبلغكم إذا ما عزمنا على السفر إلى جاوة إن شاء الله والسلام.

عبد العزيز الرشيد

ونأتي أخيراً إلى آخر رسالة كانت من الشيخ ابراهيم، موجَّهة إلى الرشيد، رداً على صديقه حول بعض الشؤون الإنسانية الخاصة... وفحواها:

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب أخينا العزيز الفاضل الشيخ عبد العزيز الرشيد أيده الله تعالى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم أيُّها الصديق قد تشرّفنا بكتابك الكريم بتاريخ ١٥ محرم فسُررنا به كثيراً حيث تضمن الإفادة عن صحتك واجتهادك في تحصيل العلم والعمل به، والانجذاب الى مَن ينتسب اليه فجزاك الله عن إنسانيتك أوفى الجزاء. ثم لا يخفى على جنابك ان الصديق ينظر إلى صديقه بعين الرضا وهي ترى الأشياء

Scanned with CamScanner

بالمنظار المكبر ومعلوم لديكم أيُّها الفاضل أننا جميعاً نعيش في وسط يصدق عليه قول ابن دريد:

لا تعجبن من هالك كيف ثوى

بل فاعجبن من سالم كيف نجا

نسأل الله ان يوفقنا وإيّاكم الى السعي في طريق الانسانية، إنَّه الوهاب المعين، ثم قد شوقتمونا إلى الرسالة التي أشرتم إليها وعسى ان تتكرّر إفادتكم إلى أبناء أمتكم، وتفضلوا بقبول خالص الاحترام.

من أخيكم ابراهيم

لقد آن الأوان للثقافة الخليجية ان تلتفت إلى أهمية هذه الوثائق النادرة، كما فعلت الشيخة مي محمد آل الخليفة، وخيراً فعلت بنشرها في كتابها الموسوم «مع شيخ الأدباء في البحرين».. نعم لقد حان الحين للثقافة الخليجية ان تضع منهجاً محكماً لإنقاذ كل ما يمكن إنقاذه من آثار ومخطوطات وكتب لشعرائنا ومفكرينا وأدبائنا ومؤرّخينا وصحفيينا... الخ منذ ان خرجوا بمنطقة الخليج من جنح الجهل والظلام، ودفعوا بقوتهم الذاتية ألوية النهضة والتطور، بعد التخلف الدامس والظروف التي أحاطت بالثقافة العربية في مجمل الأيام المتأخرة لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وشملت بقسوتها منطقة الخليج مع ما شملته من سائر الأقطار العربية عامة ـ كما سبق وذكرت لكم آنفاً ـ

Scanned with CamScanner

وحان الحين للثقافة الخليجية ان تعد العدة المتكاملة والخطط المبرمجة لرفع ألوية النهضة والتحديث، وتحقيقها تحقيقاً علمياً سليماً يعتمد على الأدلة والاستقراء التي تنشرها كلمة كلمة، وسطراً سطراً، وصفحة صفحة، وكتاباً كتاباً، مع ما تحتاج إليه من مقدمات مدروسة، ودراسات موضوعية، تؤكّد وحدة الحضارة الخليجية في غير تناقض من أمرها، لكي تحتفظ بأصولها المخطوطة في المتاحف الوطنية والمكتبات القومية، بعد تصويرها على أشرطة الميكروفيلم، أو الشبكة العنكبوتية للإنترنت ليطلع عليها من يريد البحث والتقصِّي من جيلنا ومن الأجيال القادمة، في كافة المعمورة.

أرى ان مهمة الالتفاتة للوثائق القومية، قد نالت قسطاً وافراً من لدن حكومات منطقة الخليج، وهي مشكورة على جهودها.. ولكن على المحققين والباحثين والمحللين والنقاد، ومَن يهمهم الأمر، في المقام الأول، المزيد من الجهد والمثابرة للكشف عن كنوز مخطوطاتنا وآثارنا الخليجية.. فهم الذين يدركون ما ينطوي عليه نص هذه المخطوطات خاصة النادرة منها، وما يحمله من دلالات على شخصيات الوسط الذي كتب فيه هذا النص.. كما يدرك هؤلاء الأدباء العضوية بين الوسط وبين العصر وكذلك العضوية بين الشخصية والوسط في آنٍ واحد.. ومن هنا نستخلص بكل وضوح ما يتضمنه عصر تلك المخطوطات والوثائق من أفكار وأحلام ومشاعر،

Scanned with CamScanner

وما إلى ذلك من سبيل، يتداخل من خلالها الذاتي مع العام، أي الشخصية مع الوسط.. كما يتداخل فيها ومن خلالها ايضاً الشعور الإنساني مع الشعور القومي، لدرجة تنتسب فيه بكل وضوح اللحظة الزمنية الحاضرة عن الماضي لإنتسابها إلى زمن المستقبل فيما بعد.

وأخيراً وليس آخراً، لعلّ هذا الكتيب يجد الأصداء التي يستحقها في أوساط جيلنا وجيل حفيدتي روان.. وان يكون فاتحة لكتب مماثلة تصدرها الأوساط العلمية والثقافية بمنطقتنا الخليجية الواعدة.. كي يستيقظ بها وعي الأجيال الخليجية والعربية الصاعدة جيلاً بعد جيل، بأهمية وقيمة مثل هذه الرسائل المتبادلة بين الأدباء ماضياً وحاضراً، والتي لم تكتب أصلاً للنشر، وبذلك تصبح أفصح تعبيراً ـ لو انها أُعدّت للنشر ـ عن شخصيات كتّابها وثقافتهم وأمانيهم وطموحاتهم، كما نجدها موثقة في الرسائل المتبادلة بين المؤرِّخ الشيخ عبد العزيز الرشيد، والأديب الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة.

Scanned with CamScanner

أدباء ▼ خليجيون ▼ متميزون

عبد العزيز الرشيد

إن هذه السلسلة : أدباء خليجيون متميزون، محاولة جادة، للدكتور مكي محمد سرحان، بغية الكشف العلمي عن المؤثرات التي أسهمت بشكل مباشر في تكوين أدباء الخليج المتميزين، والتعريف بمنهجهم وآرائهم الأدبية والنقدية والشعرية وهلم جرا..إلى جانب أبرز محاولاتهم في الطموح لتطبيق هذه المناهج والآراء على مسيرة الأدب الخليجي وتاريخه..مع تقديم مجموعة من النصوص المختارة، ذات الأهمية الخاصة لمن يود التعمق والمتابعة لدراسة هؤلاء الأدباء، رواد نهضتنا الثقافية المعاصرة في عالمنا العربي.

في مضمار هذه السلسة، يسرد الدكتور مكي محمد سرحان، لكل كتاب منها قصة حياة أحد أشهر عباقرة الخليج العربي، وذلك استناداً على المصادر المحلية الموثوقة..وقد صدر منها: إبراهيم العريّض، د. غازي القصيبي، سلمان التاجر، عبدالله الزائد، ابن المقرب العيوني، عبدالله الطائي...وسيصدر منها قريباً مؤلفات أخرى، في القريب العاجل ، بإذن الله.

الناشر

538
س

التوزيع في البحرين : المكتبة الوطنية

Scanned with CamScanner